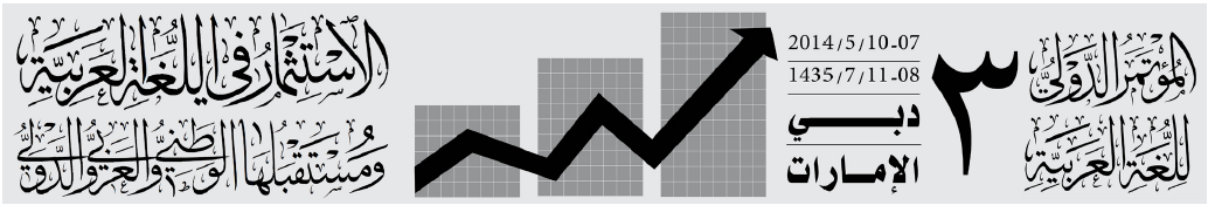

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية:

الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي.

عنوان البحث المشارك به:

"ما بين الضاد والدينار: الوعي قبل الاستثمار"

بقلم: الدكتورة: فاطمة الزهراء حبيب زحماني والدكتورة: مختارية بن قبلية

جامعة وهران / جامعة مستغانم (الجزائر)

اللغة نظام من القيم، نهض أساسا على التعاقد والاصطلاح، مثله مثل العملة، فلنتخيل أننا خُيّرنا في تبديل الدرهم أو الدينار، باليورو أو الدولار؟ فكيف سيكون رد المواطن العربي؟ لابد أنه سيجزع، وقد يتساءل لماذا؟ هل نظامنا النقدي غير متطور، وغير كفء لأداء المهام المصرفية؟ إنّ طرح هذا السؤال يتيح لنا تجسيد العلاقة الحدسية بين اللغة والعملة، مع أنهما نظامان يتحكمان في مجالين مختلفين، ومن ثم مشروعية البحث في الاستثمار في اللغة، من جهة، ومن جهة أخرى تنبيه المتلقي إلى خطورة استعارة نظام لغوي غريب عنه ولا يمثّله ولا يختزل موروثه الثقافي والتاريخي؛ بل يجعله عاقّا، كما يعقّ الولد أبويه، والعقوق في كل الأعراف صفة ذميمة. فأوّل ما ينبغي البدء به، لاستعمال اللغة العربية استعمالا مطردا وغير مشروط في البلاد العربية، هو تحسيس المجتمع العربي بأنّه يعيش أزمة هوية. لذلك فالحلّ العاجل بالنسبة لنا، هو توعية جموع الطلاب والتلاميذ، توعية ثقافية، قد نثور من خلالها على ما خلفه الاستعمار من ورائه من ممارسات لغوية هجينة، فحتى وإن تمت بأساليبها الغربية المحكمة وقواعدها الرصينة، إلا أنه باستخدامها في غير بيئتها الغربية تصبح نشازا، إذ يتحدث العربي مع أخيه العربي بلغة غيرهما. فهل قصرت عربيتهما عن الإفصاح عما يخالج مشاعرهما؟ مع أنّ إمكانية الاحتكام إلى المرجعية اللغوية ميسور. وفكرة الاستثمار في اللغة لابد أن تبنى أساسا على فكرة التوعية والتي تقتضي بدورها بذل الكثير من الجهود الفكرية والمادية؛ مما يستدعي الوقوف على عدّة محطّات مهمّة؛ من مثل الإعلام والتعليم والاقتصاد والسياحة والثقافة والفنون الدرامية وحركة التأليف، ومحطات أخرى كثيرة. وهذا ما سنعمل على طرحه من خلال الورقة البحثية المعنونة بـ: "ما بين الضاد والدينار: الوعي قبل الاستثمار".

إن مجرد ملامسة البصر لعنوان المؤتمر، ليستنهض الهمة، ويحفز الضمير على بذل النفيس في سبيل تطوير اللغة العربية، واستعادة أمجادها التي تكاد أن تظل بين أصوات أعجمية تتعالى على أرضها وفي عقر دارها، والتي وإن وُزنت بميزان الجمال، فلن تضاهي حسن العربية وسحرها.

إن الأجنبي وهو قادم إلى الوطن العربي ليؤرقه جهله باللغة العربية، ويكون حينئذ مستعدا للتضحية بالمال والوقت من أجل تعلمها، ولكنه ما إن تطأ رِجلاه أرض العروبة حتى تنهال عليه عبارات التحيات والاستقبال بلغته هو، فتتراجع عندئذ عزيمته على اكتساب لغة يتجاهلها أهلها.

إنّ أوّل الأمثلة التي تعطى عن الرمز، اللغة، ومن بعدها تأتي الأمثلة الكثيرة عن الرّموز غير اللّسانية. وإننا لنجد في التراث العالمي ما يدل على ذلك، من حيث أسبقية رمزية اللغة في ترتيب الرموز كلّها، ولذلك كانت أول ما صنّفه أرسطو في خانة الرموز، حيث قال: "الأصوات التي ينطق بها رموز دالّة على أحوال نفسية، والألفاظ المكتوبة رموز دالة على الألفاظ التي ينطق بها الصّوت. وكما أن الكتابة ليست واحدة عند جميع النّاس فكذلك الألفاظ المنطوق بها ليست واحدة عند جميع الناس، مع أن أحوال النفس ـ التي تلك العبارات دلائل عليهاـ واحدة للجميع، مثلما أنّ الأشياء ـ التي تلك الأحوال صور دالة عليها ـ واحدة للجميع"[1]. فلماذا ننتقي لغة وندع لغة أخرى عاطلة عن التعبير؟ لماذا نرمز لذاتنا العربية برمز لم يوضع لها في الأساس؟ لابد أن في الأمر سببا يدعونا إلى مثل هذا الاختيار المسؤول. إننا نعزوه إلى الشعور بالنقص أو ما قرره ابن خلدون من أن المغلوب على دين الغالب، بعد أن قرّر "أن لغات أهل الأمصار إنّما تكون بلسان الأمّة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها"[2]. وظل هذا الاستنتاج كالمثل السائر في كل الأحوال والأوقات.

وعلى الرّغم من تواجد شعور قوي بضرورة تخطي هذه الأزمة التي تمس عمق الهوية العربية، إلا أنه سيظل شعورا عقيما لن يَسترجع سطوة اللغة وغلبتها على أهلها، وهم عنها وبها راضون. ولذلك ندعو بعضنا بعضا نحن أبناء هذه اللّغة لأن نتجاوز حدود الانتقادات اللّاذعة إلى حدود الفعل، ونعمق التفكير في آليات إيجاد حلول ناجعة لمشكلة اطراد استعمال اللغة العربية داخل ديارها.

إن معنى الاستثمار الذي تحدّده فلسفة المؤتمر وتوجهاته كما تشير إليه الهيئة المنظمة، يتولد من مَعنَيين اثنين هما، الإنفاق المالي على اللغة العربية للحصول على عوائد وأرباح معنوية تؤدّي بعد ذلك إلى تحقيق مكاسب مادّية على الدّخل الوطني والعربي، وهذا وجه من أوجه اقتصاد المعرفة، ذلك الرافد المعرفي الجديد "سواء على صعيد النظرية الاقتصادية والأطروحة الفكرية والمنهجية، أو على مستوى التطبيقات العلمية، ومجالات السريان، كما يعد أداة محورية في قياس مدى قدرة الدول على حيازة أسباب التقدم وامتلاك نجاح الخطط التنموية والاقتصادية الشاملة"[3].

وإن خير ما يفسر القيمة الاقتصادية للغة، هو التوازي المفاهيمي بينها وبين العملة، فاللغة نظام من القيم، نهض أساسا على التعاقد والاصطلاح، مثله مثل العملة، كما أن للنظام النقدي والأموال بشكل عام قيمة توزن بها قوة وسلطة الدول والأفراد على حد سواء، فكذلك اللغة قوة وسلطة، بحيث بإمكانها السيادة، بل إن العلاقة الحدسية بين اللغة والنقود لكفيلة بإبراز مدى قدرة هذه الكفاءة الإنسانية على تحقيق الرقي المادي والحضاري في آن واحد، لذلك يمكن أن نعد مسألة البعد الاقتصادي الذي تمتلكه اللغة التي نطق بها، من المسائل المهمة التي ينبغي أن تستأثر باهتمامنا، وتتطلب منا المزيد من الدراسات، وعمليات الاستقصاء لتحديد معالم اقتصاد جديد يعنى بتحديد القيمة الاقتصادية غير المادية"[4].

وللدلالة على علاقة اللغة بالاقتصاد، يكفينا استحضار عبارات من مثل: الرّصيد اللّغوي، أو الثّروة اللغوية، أو الاقتصاد اللغوي. ومن أجل هذا قال كولماس: "لذلك يزن بعض الناس كلامهم أو على الأقل يحرصون على ألا ينفقوا أكثر مما ينبغي. إن الكلمات تسكّ كما تسكّ العملات، وتظلّ متداولة مادامت سارية المفعول ... وعندما نصف اللّغة والنقود بأنهما رصيدان، فإننا نلفت النظر إلى دوريهما في تحقق الفرد، فهما قدرة كامنة تجعل تحقق الفردية ممكنا عن طريق توسيع نطاق الفعل عند مَن يمتلكونها"[5].

وإذا علمنا أن المجتمعات الغربية المتطورة، تطورا عملاقا، أصبحت تتبنى أصولا جديدة في التنمية والإنتاج الاقتصادي من مثل المعرفة الفنية والإبداع والذكاء، والمعلومات، وتحويل البيانات الرقمية إلى معطيات من شأنها أن تشارك في تطوير الإنتاج، وأن اقتصادياتها تستأثر الآن بـ 7 % من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، باتخاذها هذه المعطيات أصولا لاقتصادها، وأنها تنمو بمعدل 10 % سنويا. وأن 50 % من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي، مثلا هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات، حينذاك ينبغي أن تستوقفنا فعلا هذه الحقائق وندرك أنها، أي هذه الدول المتقدمة تبدع و تنتج وتروج للغاتها! فلا أحد منا ينكر ما وصلت إليه اللغة الإنجليزية من سعة أفق[6].

في حين تخلت العربية عن وظائفها الاقتصادية والاتصالية وفي بيئتها العربية نفسها، للغاتٍ غربية، وخاصة اللغة الإنجليزية في المشرق والخليج، واللغة الفرنسية في المغرب. بعد أن تفانت بعض هذه الدول "في الحصول على التقنيات الحديثة وتوظيفها داخل كيانات المجتمع بمختلف القطاعات: الاقتصادية، والإدارية، والثقافية، والعلمية، قبل أن تتوفر فرصة كافية للخطاب العربي أن يحوّل مفرداتها الغربية إلى كلم عربي يمكن التعامل معه على أرض الواقع. آنذاك لم يكن هناك خيار سوى إقصاء الخطاب العربي لضمان امتلاك القدرة على التعامل مع التقنيات الجديدة الواردة إلى مجتمعات دول الخليج العربي"[7] خصوصا، والمجتمعات العربية عموما.

وبما أن دلالة اقتصاد المعرفة تمُتُّ بالصلة إلى كل ما يتعلق باقتصاديات عملية المعرفة ذاتها، سواء من حيث تكاليف العملية المعرفية أو الذهنية من مثل تكاليف البحوث والتطوير، أو تكاليف إدارة الأعمال الاستشارية أو إعداد الخبراء وتدريبهم من جهة وبين العائد والإيراد الناتج من هذه العملية باعتبارها عملية اقتصادية مجردة من جهة أخرى[8] ، وأن اللغة هي الوعاء الذي يحمل هذه المعرفة . فعلى الدول العربية جميعا أن تستبدل اللغة الأجنبية في التعاملات الاقتصادية. فكيف نتقبل أن نستثمر في غير لغتنا؟! وهنا نستحضر قولا لغاندي، ينتقد من خلاله التواجد الإنجليزي في الهند، يقول فيه: "علينا أن نفكر في الوقت والجهد اللذين بذلهما شبابنا في تعلم اللغة الإنجليزية كما لو كانت لغة أمّا لنا، وأن نحتسب بعملية حسابية بسيطة عدد السنوات ومقدار الجهد الثمين اللذين يضيعان على الأمة"[9]. فعلا إننا اليوم نعيش ما كانت تعيشه الهند "المستعمَرة" في القرن الماضي، بحيث ننفق من أجل أن تزهر وتزدهر لغة أخرى، وكان غاندي قد اقترح حلا، فتمثّل النموذج الياباني، لأنه على العكس من الهند آنذاك، لم تكن اليابان تستعمل لغة أجنبية وسيلة للتعليم، وبدلا من ذلك فإن كل ما ينتجه الغرب يترجم إلى لغة البلاد، وبهذا الشكل "اقتصد اليابانيون في جهدهم" ويشرح كولماس توجه غاندي، بقوله: "هؤلاء الذين يرغبون في تعلم لغات أجنبية يقومون بهذا من أجل إغناء الثقافة اليابانية بالفكر والمعرفة اللذين لا يمكن أن ينتجهما إلا الغرب وحده، وهم حريصون على أن يترجموا إلى اليابانية كل ما هو جدير بأن يؤخذ من الغرب... والمعرفة المتحصل عليها تصبح عندئذ ملكية قومية"[10].

وعلى هذا، ومادامت القيمة المادية هي التي يسعى الغرب من أجل تحقيقها، فهذه مناسبة جيدة لاستخدام اللغة العربية باعتبارها وسيطا، بمعنى يفرض على التجار الغربيين التعامل باللغة العربية داخل أراضي البلاد العربية، دون الحاجة إلى إنفاق العرب على لغات غيرهم والاستثمار فيها استثمارا لا يؤدي إلا إلى إغناء وإثراء الغرب. ولا ننسى أنّ اللغة الإنجليزية فُرضت على العالم لأنّها لغة الاقتصاد الناجح والمتحكّم في العالم، ولا يفوتنا أيضا أنّ زمننا هذا يخضع إلى قانون التوسّع الاقتصادي –على رأي مالك بن نبي- بعد أن كان في السابق يخضع إلى قانون التوسع الاستعماري، "حتى أصبح الاقتصاد ميزة وقياسا تُقاس به الأشياء، في داخل بلد معيّن، فنقول عنه إنّه في حالة نمو إذا كان اقتصاده ناميا، أو بالقياس مع بلد آخر فنقول عن أحدهما إنّه متخلّف إذا كان اقتصاده كاسدا"[11]. ويلتحق هذا النعت أيضا بلغة البلد حتى وإن كانت عكس اقتصاد بلدها، تماما مثلما يحدث اليوم للغة القرآن الكريم، فهل يَحق أن تُنعت بالتخلف ونحن نقف وكأنّنا من فئة الصمّ البكم؟!

ومن هنا نستوعب أنّنا لن نصل إلى المستوى المطلوب من التدابير والترتيبات الثقافية والسياسية الرشيدة، إلا بعد توعية شاملة ملحة لكل شرائح المجتمع وخاصة شريحة المتعلمين الذين يفعّلون اقتصاد المعرفة. ونطرح على جموعهم تساؤلات من مثل، لو أننا تعاملنا مع المستثمر الأجنبي بلغتنا نحن، ماذا سنخسر؟ ستكون الإجابة بـ "لا شيء" بل بالعكس سنجني رواجا للغتنا، ونؤسّس نموذجا اقتصاديا ومعرفيا أصيلا يعترف بلغة الأمة عمليا ويحترمها ويقدمها على اللغات الأخرى. أو أن نجعل هذه الجموع تتخيل لو أننا خُيرنا في تبديل الدرهم أو الدينار، باليورو أو الدولار؟ لابد أنهم سيُجزعون، ويتساءلون لماذا؟ هل نظامنا النقدي غير متطور؟ وغير كفء لأداء المهام المصرفية، وهنالك يحق لنا أن نصارحهم بأننا إذا لم نستعمل لغتنا العربية في كل مجالات الحياة، فإنه سيأتي يوم تتغير فيه عملتنا، ونحن مضطرون إلى ذلك اضطرارا، ولو أننا صرنا نرى اليوم إرهاصات هذا المشهد المرعب من خلال تداول العملة الأجنبية على هامش الحياة الاقتصادية في بلداننا العربية، ومن خلال اقتناء الأفراد لها على أساس أنها عملة صعبة تكافئ قيمة الذهب أو تقرب منها.

إن نظرة إبستيمولوجية خاطفة لعلاقة الإنسان العربي بلغته، لتدل على أن العربي ليحتمي بلغته ويعدها مصدرا لقوته، وعنوانا لشخصيته، فهو كما قيل: "يحب لغته لدرجة التقديس، وهو يعتبرها السلطة التي لها عليه تأثير"[12]. ولذلك نرى أن مهمة التوعية ليست صعبة بالقدر الذي نتصوره، لأن نتائجها مضمونة، وإنما المشكلة في تسارع اجتياح اللغة الغربية وما تحمله من فكر للعالم العربي، من خلال النشاط الاقتصادي الذي يتسارع حراكه هو أيضا في المنطقة العربية، فكلنا يعرف أن منطقتنا هذه وما أوسعها من منطقة، هي سوق ممتازة للغرب، يسوّق فيها بضاعته ويروج للغته التي نتعلمها بمحض إرادتنا.

وينبغي أن نتبين أن الخطاب العاطفي لا يكفي لتحميس المواطن العربي بخطورة الوضع الذي آلت إليه العربية، وما انجر عنه من تحلل للهوية العربية، من خلال ممارسات العربي نفسه، فقد قيل لنا مرة من قبل شخصية أجنبية: "إننا عندما نفد إلى بلدكم لأول مرة، لا نكاد نتعرف على المكان، ولا على ثقافته ولا على لغته الأصلية، فمعظم الناس يتحدثون بلغة أجنبية، ونتساءل في استغراب، من هؤلاء القوم، وإلى أي إثنية ينتمون، وبأي لغة يتكلمون؟ من هم؟". وكنا نجيب بكلمة واحدة: "فعلا"، ونحن نطأطئ الرأس في استحياء لما آل إليه مظهرنا أمام نظرائنا من أهل "اللغات".

إنّ النقد الموجه للمشهد اللغوي في الوطن العربي غير كاف، بل ينبغي أن ننتقل في استعجال تام إلى استثمار كل الجهود الجادة التي بُذلت من أجل تطوير أداء اللغة العربية في الحياة العامة. ونقصد هاهنا الدراسات الأكاديمية في مجال البحث اللساني بصفة خاصة، وفي مجال البحوث المتعلقة باللغة في صِلاتها بالعلوم الإنسانية الأخرى، كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة... بصفة عامة؛ ويمكن إجمالها فيما يسمى باللسانيات التطبيقية بصورة أدق. ويمكن لكل ذي فكرة في هذا الصدد أن يعبّر بما أوتي من شحنات عاطفية وومضات فكرية تجاه اللغة العربية، وأن يوضّح فكرته ورأيه ومن ثمّة يقدّم حلّا، يضاف إلى بقية الحلول التي تُبنى عليها التصورات، ولذا "لا يمكن أن يتحقق النمو اللغوي الفاعل إلا بالنظر إلى اللغة العربية باعتبارها منظومة فكرية وتصورية وقضية معرفية تبنى عليها التصورات والنظريات كلها، ونسقا ذهنيا تنطلق منه الرؤى والمواقف كلها، وعملا للفهم، وذلك قصد ترسيخ الوعي اللغوي للمتكلم العربي، وتركيز المسألة اللغوية في مخيلته، وربط اللغة العربية وقضاياها للنقاش الدائر حولها بمسألة الهوية بمختلف أبعادها وامتدادها، والتحسيس بمحورية اللغة في كل تنمية ننشدها، وثقافة ننتجها..."[13].

ومن بين ما ينبغي إدراجه في "برنامج توعية المواطن العربي" التشديد على أهمية تمسكه بلغته واستعمالها استعمالا مطردا، وأنّ ما يسمى بالتناوب اللغوي السليم المتكافئ لا يفسد للود قضية، بمعنى أن له الحق في تعلم لغة يختارها على أساس مصالحه العلمية أو الاجتماعية أو العملية التي تخدمه، إلا أنه لا ينبغي أن يتحول كلامه إلى فوضى، تتنازعه لغتان أو أكثر، وأن يكرّس التّعدد اللّغوي على أصوله لأن المقصود به أصلا هو تحقيق المُثاقفة والإنسانية في أسمى معانيها، وليس طمس اللغة الوطنية بدعوى التفتح. "وهذا يتطلب تنسيقا على مستوى عربيّ، لإقامة برامج وسياسات لغوية فاعلة، من شأنها ترسيخ استعمال اللغة العربية، والتصدي لكل أشكال التشكيك في قدرتها، أو طمس وظيفتها"[14]. ومن أجل هذا وذاك على السياسات الوطنية تسخير الجهود الفكرية والتعليمية، والإعلامية، والفنية كي تتضافر في النهاية لصنع أفق أرحب للغة العربية.

فأما الجهود الفكرية فإنّها منوطة بتناول مسألة اللّغة الوطنية تناولا جادا ومؤسَّسا على الإرث الفكري الذي يختزله تاريخ الوطن العربي. وهذه مهمة يضطلع بها الباحثون في العلوم الإنسانية واللغات بشكل خاص، وهي ليست حكرا على تخصص دون تخصص آخر، شريطة أن تُحترم التقديرات والنتائج العلمية المتحصل عليها، وتُستثمر في إعادة الحركية للغة العربية واستعادة دورها الحضاري الذي اضطلعت به منذ قرون خلت، هذا بالإضافة إلى "السعي إلى إصلاح العطب الذي أصاب ديناميكيتها وفاعليتها مما أدى إلى تعطل العلاقة بين الوجود اللغوي والوجود الحضاري، كما أدى إلى حدوث انكسار مزدوج في الوجود الحضاري واللّغوي في الوقت نفسه"[15].

وأما الجهود التعليمية، فهي من تخصّص وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي التي نلقي على عاتقها تصميم برامج تعليمية لغوية رائدة، هدفها الأول، تكريس استعمال اللغة العربية استعمالا راقيا يليق بعروبة المتعلم، وليس هذا بالأمر المستحيل، طالما يوجد مجال واحد على الأقل يجسد دور هذه اللغة في الحياة، ألا وهو التعليم بكل مراحله. علمًا بأن المناهج التعليمية مرنة نسبيا، ووفق هذه النظرة المتفائلة يمكن اقتراح بعض الخطوات في تصويب اللغة العربية المتكلّمة، وخاصة داخل المؤسسة التعليمية. كمثل تكييف الطريقة البيداغوجية مع مطلب تصحيح الممارسات اللغوية، بحيث لا يُقبل من المتعلم سوى ما كان فصيحا، فحتما سيحاول أن يطور نفسه حتى خارج جدران القسم، والتاريخ المدرسي في الجزائر يشهد على استخدام التلاميذ للغة الفرنسية السليمة داخل المؤسسات التعليمية، إبان الاستعمار وما بعده، وخاصة

في المناطق الشمالية. عموما فقد سبق أن اقترحنا منهج المقاربة بالكفاءات على أساس أنه المنهج المعتمد اليوم بالجزائر وعلى أساس أنه يقدم بدائل جديدة، كمثل مشروع المؤسسة، والمقاربة النصية، التي تتناول المستويات اللغوية مجتمعة كما هو الشأن بالنسبة للكلام حينما يلفظ، فهو يصدر جملة واحدة دون فصل بين عناصره الصوتية وهو "الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي في تولّده (البنية السطحية). إذ ينطلق تركيب الملفوظ من الأساس حيث تجتمع العناصر المقولية بالصيغ الصرفية الحاصلة في المعجم ثم تنتظمها القواعد التركيبية في بنية تطابقها بنية دلالية (البنية العميقة)، ثم تجري على هذه البنية تحويلات تأخذ بَعدها شكلا صوتيا هو ما يمثل حدثا يسمع وينقل عن طريق قناة ما"[16]. خاصة وأن كتب اللغة العربية المقررة أصبحت تعتمد على نصوص أكثر ثراء وتطورا من حيث المعجم والأفكار، فضلا عن استغلال التعبير الشفهي، وتخصيص أكبر وقت ممكن، واستغلال الساعات الإضافية، لأنه حقل خصب لتنمية مواهب المتعلمين، واستدراك أخطائهم.

نخرج من مجال التعليم لنعرِّج على ميادين أخرى مختلفة، وقبل ذلك نشير إلى أنّ متانة العلاقة الرابطة بين اللغة والاقتصاد تأتي من الاتجاهين؛ لنقول: ما بين الضاد والدينار حركة ذهاب وإياب، وإن كان الوقت قد حان لتعزيز حركة الاستثمار في ميادين اللغة العربية، فإنّه -أيضا- لم يَفُت من أجل دعم الاستثمار باللغة العربية، وفي الاتجاهين نكون قد ضربنا عصفورين بحجر واحد، فإن كنّا قد بدأنا باللغة العربية أو انتهينا بها، نكون حينها قد خدمناها بشكل من الأشكال وبنسب متفاوتة. لذلك نحتاج اليوم إلى حملة توعية قويّة تخدم هدفنا، وذلك بإلقاء الضوء على ما كان وما هو كائن ومن ثمّ تصوّر ما سيكون.

إنّ فكرة الاستثمار في اللغة العربية ليست بالحديثة طبعا، لكنّها على قدمها لم تأخذ حظّها الوافر من اهتمامات ذوي الشأن من أصحاب الأفكار وأصحاب الأموال، فإنْ نظرنا إلى حركة التأليف في الوطن العربي مثلا، نجدها قد تَمّتْ وبشكل مكثّف باللغة العربية، بل ونالت علومُ هذه اللغة شطرا كبيرا من تلك المنجزات الفكرية التجارية، هذا بالإضافة إلى ما حقّقته الترجمة إليها من نجاحات، فسَمِعنا فيكتور هيغو وشكسبير وغيرهما يتحدثان لغة الضاد. فالإشكال هاهنا غير مطروح، وحركة التأليف لم تكّل ولم تملّ، حتى وإن اختلفت مجالات التفكير، وتفاوتت جودة الكتابة والتعبير، لكنّ إشكالا آخر قد يُطرح حينما ننتقل من الحديث عن المرسِل إلى الحديث عن المتلقي، فجمهور القراء يتناقص، وعلى المؤلّفين ملاحقته بشتى الطرق، ونحن الآن في عصر الصورة والألوان، وجودةُ الطبع قد تعمل عملها. ليس ذلك وحسب؛ بل يُمكننا الاستعانة أيضا بالصوت لمخاطبة القارئ الكسول أو المرهق، بل والقارئ الضرير والقارئ الطفل كذلك، فبَعد الثورة التي شهدتها الشابكة في عالم الكتب الإلكترونية، صرنا اليوم نسمع عن الكتب الصوتية، التي تنقل إليك الخطاب بكل ما يحويه من انفعالات وأحاسيس تجسّدها التنغيمات، بل وتعلّم القارئ الطريقة المثلى للقراءة، فتستغلّ حاسّة السمع لديه لتحسين قدراته النطقية واللغوية لاحقا. إنّنا نعيش اليوم إذن في عالم يستدعي السير إلى الأمام دون النظر إلى الوراء. ولا يجب أنّ ننسى تنوّع الجمهور واختلاف أذواقه وأعماره واهتماماته وقدراته. ولِتطوير مجال التأليف وجعله أكثر خدمة لثقافتنا، يُفترض من المكتبيِّين "أنْ يُشجّعوا الكُتّاب الناشئين وأن يُراعوا استخدام اللغة ويُرغِّبوا فيه لإبداع أدب وطني ولتنمية الثقة في مفهوم الأمّة"[17]. فمن كتب الطفل والمطبخ إلى المجلات والجرائد إلى كتب التخصصات، نحن بحاجة دائما إلى لغة عربيّة قوية، أو على الأقل سليمة.

بعيدا عن حركة التأليف التي قد تمسّ شريحة معيّنة فقط من المجتمع العربي، نجد مجالا آخر يجمع بين الضاد والدينار؛ وهو الأكثر استقطابا للمتلقين على اختلافهم، إنه عالم السمعي البصري الذي يَفِد إلينا من خلال شاشات السينما والتلفزيون وحتى الحاسوب وما شابهه، وإذا أخذنا الفيلم السينمائي

والمسلسل التلفزيوني مثالا على ذلك، ونظرنا إلى بعض العيّنات المنتقاة من مكتبة السمعي البصري العربية في هذا الميدان، يمكننا أن نلمس مدى الخدمة المتبادلة بين اللغة العربية الفصحى وهذا المجال، ويتسنى لنا ذلك بعد المرور بِهاتين المحطّتين:

1. المحطّة الأولى: اللغة العربية في خدمة السمعي البصري:

أ. الفيلم السينمائي الديني (الإسلامي): وهو نوع من الأفلام الهادفة التي تحمل رسائل موجّهة إلى المشاهد المسلم لتربطه بتاريخ أمّته المجيد، حيث يعتمد محاكاة الواقع التاريخي بطريقة تجذب المشاهد وتأثّر فيه، لذلك تبقى اللغة العربية الفصحى شرطا مُهِمًّا من شروط نجاح مثل هذه المشاريع. ولعلّ نظرة خاطفة على بعض العيّنات كفيلة بإبراز الفروق التي صنعتها لغة الحوار. ولعل الجمهور الذي شاهد فيلم "الرسالة[18]" وأفلام دينية أخرى من مثل "فجر الإسلام[19]" يقرّ بنجاح الفيلم الأول وتفوّقه على البقية، والحقيقة أنّه حصل على هذه الدرجة الكبيرة من النجاح بسبب تكامل الشروط المعنوية والمادية، فلم تترك أسرة العمل ثغرة واحدة على مستوى التأريخ أو التأليف (القصة والحوار) أو الإخراج أو الموسيقى التصويرية أو الإنتاج أو الإبداع في التمثيل ... والواضح هو أنّ لغة الحوار كانت في قمّة الرّقي، ولم نلحظ عليها أيّ نوع من أنواع الضعف، سواء تعلّق الأمر بالجانب التركيبي (النحوي/ الصرفي) أو بالجانب الصوتي (النطقي خاصة)، بالإضافة إلى الجانب الدلالي المعجمي الذي جعل لغة الفيلم تجمع بين الرقي والبساطة معا، فخاطبت المشاهد على اختلاف ثقافاته ومستوياته الفكرية، بل وخاطبت المشاهد الأميّ بكلّ نجاح.

إنّ قوة مشروع "فيلم الرسالة" لم تكمن في مضمونه الديني وحسب، لأنّ الكثير من الأفلام العادية أو حتى الفاشلة جماهيريا قد اعتمدت المضمون نفسه، إلا أنّ القوة تجلّت في كيفية إيصال هذا المضمون إلى المتلقي، وبالأخصّ في لغة إيصاله. ولعلّ ما ساهم في جعل الممثلين يبرعون ويبدعون لغويّا هو المتابعة الدءوبة للمدقّقين اللغويين من جهة، والانتقاء الجادّ لهؤلاء الفنانين من جهة ثانية؛ ولاسيما أنّهم أتَوا من دول عربية مختلفة –بالإضافة إلى الممثلين الأجانب الذين أخذوا أدوارا مناسبة لهم- والجميل في الأمر أنّنا شاهدنا الممثل المصري والسوري واللبناني والمغربي والليبي... لكنّنا لم نسمع سوى الممثل العربي. فكانت وحدة اللغة وسلامتها تجسيدا ملموسا لوحدة هدف أسرة العمل، وكان فيلم الرسالة مشروعا ناجحا على كلّ الأصعدة، وبالأخصّ على الصعيدين المادي والجماهيري، ويشهد الجميع أنّه من المشاريع التي خدمت الأمّة الإسلامية قبل خدمتها لأصحابها. أما إذا انتقلنا إلى فيلم آخر من مثل "فجر الإسلام" مثلا، فسنكتشف أنّه وبالرغم من اعتماده على واحد من كُتّاب فيلم الرسالة[20]، إلا أنّه لم يُركّز بشكل كبير على التدقيق اللغوي أثناء التصوير، وهذا واضح أمام المتلقي العربي، فكنّا نرى ونسمع الممثل المصري فقط على الرغم من استعمال اللغة العربية الفصحى، مما يُشتت فكر المتلقي، ويُنقص من مصداقية الفيلم الذي لم يتمكّن من محاكاة المجتمع المكي في عهد ما قبل وأثناء البعثة النبوية على الأقل على مستوى اللغة؛ والمتلقي يعي جيّدا أنّ اللهجة القرشية في تلك الفترة هي ذاتها اللغة العربية الفصحى التي خلّدها القرآن الكريم. وتجسّد الضعف اللغوي أثناء التصوير في المستوى الصوتي على وجه الخصوص، حيث تكرّر مرارًا نطق الذال زايا، والثاء سينًا... وما شابه ذلك. ولعلّ هذا يوحي بضعف التمويل[21] الذي حال دون توفير كل شروط النجاح التي يحتاجها مثل هذا المشروع.

ب.دبلجة المسلسلات الأجنبية إلى العربية - بين الأمس واليوم: لن نقف هنا طويلا لأنّنا لسنا بصدد الترويج لهذا النوع من المسلسلات، وبغض النظر عن رأينا فيها، نشير إلى أنّ فكرة الدبلجة التي استعرناها من الغرب لنقرّب مُنتجاتهم السمعية البصرية إلى المتلقي العربي بدأت بشكل مقبول، إنْ لم

نَسِمْه بالجيّد، ولعلّها برزت أكثر حينما مسّت الفنون الدرامية الميكسيكية والفنزويلية والكورية والهندية وغيرها، بل وكانت البداية متحفّظة، تسعى إلى الاختيار الجاد، وتُوفّر الرقابة الصارمة، فتجعل من تلك الأعمال ملائمة نسبيا للجمهور العربي. وقد ساهم هذا النشاط في تعويد أذن المتلقي على التقاط الخطاب العربي الفصيح، لدرجة أنّ الكثير من الألفاظ الفصيحة قد انتقلت إلى ألسنة المشاهدين. وبغض النظر عن السلبيات الكثيرة التي تجلبها لنا مثل هذه المسلسلات، ولاسيما تلك المؤثّرة على السلوكات والعادات النابعة من الثقافة الإسلامية والعربية، يبقى جانب توظيف الفصحى في هذا النوع من الأعمال الفنية أمرا في غاية الإيجابية، لأنّه ينقل الخطاب التواصلي أو لنَقُل الحوار اليومي الذي يحدث بين الأشخاص باللغة الفصحى، مما يجعل المستمع يستسيغها ويتعوّد على سماعها، ويكتشف بذلك أنّها تنفع لتكون لغة التواصل أيضا، لا لغة الإعلام والأدب والعلم والرسميات فقط. هكذا كانت الخطوات الأولى في عالم المسلسلات المدبلجة، إلى أن ازدحمت الفضائيات تاركة الرقابة وراء ظهرها...، واستقبلت كلّ ما يَفِد إليها من الآخر دون قيد أو شرط، فلم تُعط لثقافتنا العربية أيّ أهمّية، ثم تمادت لتتحوّل عن الخط الذي رُسِم لها مُسبقا، فاستغنت عن الفصحى وعوّضتها بالدارجة، لكي يبدأ السباق بين السورية واللبنانية والمغربية والعراقية... كل يسعى إلى منفعته الخاصة دونما اعتبارٍ لمنفعة الكلّ.

ت.الفنتازيا السورية: وهي نوع من المسلسلات التي تُوظّف الخيال بطابع قريب من المكوّنات الأنثروبولوجية للمجتمع العربي، وتستعمل اللغة العربية الفصحى لتُخرجنا من الحدود التاريخية والجغرافية. كانت خطوتها الأولى في التسعينيات مع المخرج نجدت إسماعيل أنزور في مسلسله الجوارح[22]، الذي عرف رواجا كبيرا في الوطن العربي، وكان نجاحه المادي والجماهيري حافزا للاستمرار بجزأين آخرين. ولو تخيّلنا أنّ هذا العمل كان باللهجة السورية، لما وجدنا فيه نكهة خاصة، ولما اختلف عن المسلسلات السورية الأخرى، فاللغة العربية لم تكن وسيلة وحسب، بل هي رمز من رموز العمل الذي توجّه إلى كلّ عربي يُريه صورته كما رأتها أسرة العمل، لذلك كانت اللغة شرطا من شروط التميّز والاختلاف، وهذا ما صنع النجاح الجماهيري ومن ثمّ الماديّ للمشروع.

ث. الإعلام المرئي: كنّا قد تحدّثنا عن حركة التأليف وأدرجنا ضمنها الصحافة المكتوبة، وبقي لنا الحديث عن الإعلام المرئي[23]، وهو الوسيلة الوحيدة التي تتواصل يوميا مع المتلقي لتربطه بعالمه، وتعتمد عادة اللغة الفصحى في حصص الأخبار على الأقل، مع بعض الاستثناءات التي لاحظناها مؤخرا على بعض القنوات الخاصّة. ولعل مسألة علاقة الإعلام باللغة العربية الفصحى قد أسالت الكثير من حبر الباحثين، ولم يعد لنا إلا أن نشير إلى أنّ نجاح الكثير من القنوات العربية -ولاسيما الإعلامية- كان نتيجة اعتمادها اللغة العربية الفصحى كلغة تواصل، وهذا ما يجعل المتلقي يشعر فعلا بأنّها موجّهة لكلّ العرب. ولا ننسى أن نَذْكر في هذا الموقف الإعلام المرئي الموجّه للطفل العربي، ولعلّني أختصره في قناة واحدة تستحقّ منّا الاهتمام؛ هي قناة الجزيرة للأطفال (أو التي تُسمى حاليا بقناة "ج")، والتي كان لها الفضل في تعويد الطفل العربي على استعمال لغته الفصحى للتواصل والتفاعل، فصنعت له عالما يُشبه عالم الكبار لكنّه بطعم الطفولة، ولعلّنا نلمس ذلك بقوّة في برنامج "ألو مرحبا" (والذي يُسمى اليوم بـ "عنبر") الذي يُبث على هذه القناة، والذي تُنشّطه الدمية "عنبر" بمساعدة أحد المنشّطين الشباب، حيث تعتمد الحصّة على التفاعل المباشر عبر الهاتف، وغير المباشر عبر البريد الإلكتروني، وما يُدهشنا فعلا هو الجهود الجبارة التي لمسناها عند الطفل المتّصل حين استعماله للغة الفصحى تمسّكا منه بتقاليد البرنامج، بل واحتراما منه للغة أسرة العمل، وما أذهلنا أكثر هم أطفال المهجر الذين لم يختلفوا عن أقرانهم. فمن قال إذن أنّ اللغة العربية لا تصلح للتواصل؟!.

2. المحطة الثانية: السمعي البصري في خدمة اللغة العربية:

ونقصد هاهنا البرامج والمسلسلات التلفزيونية المتخصصة التي تهتمّ باللغة العربية كموضوع وهدف وتستعملها كوسيلة، وهي ذات طابع تربوي تعليمي ترفيهي، تسعى إلى تعليم المتلقي لغته بطريقة سهلة وظريفة وجذّابة، ومن تلك البرامج ما يُقدّم إلى الطفل الصغير، ومنها ما يُوجّه إلى المتفرج الكبير (الأمّي غالبا)، ومنها ما يُوجّه إلى الأسرة. ومن تلك البرامج ما يكون في شكل رسوم متحركة أو نادي عرائس، ومنه ما يعتمد على التمثيل. وإنْ عدنا بذاكرتنا إلى الوراء، سنجد أنّها لا تزال تحتفظ بتلك التجارب الجميلة التي عشناها مع: "افتح يا سمسم[24]"، و"مدينة القواعد"، و"المناهل[25]"، و"كيف وأخواتها[26]"... وغيرها[27]، وهي برامج جمعت شمل الأسرة كثيرا حول شاشة التلفزيون، فجذبت الأب والابن، وجعلت الكل يُعجب باللغة الأم أكثر فأكثر ويفتخر بها. وإن أخذنا برنامج "افتح يا سمسم" لوحده كمثال، سنجد أنّه يَستعين بمجموعة من كبار الكتاب من مثل ياسر المالح وعلي حرب وسيد حجاب وغيرهم، وهو ما يُبيّن قدر الاهتمام الموجه لمثل هذه البرامج في ما مضى. كما يستعين أصحاب هذا العمل بمُمَثّلين من فئات عمرية مختلفة تعبّر عن مختلف الأجيال، ويقلّص لنا المجتمع بكامله في شخصيات هذا العالم الصغير، ويُوظّف الأغاني التربويّة، والرسوم المتحرّكة، دون أن ننسى العرائس والدمى الضخمة، إنّه يُقدّم رسالته بطرق ووسائل تناسب الجميع، لذلك وصل إلى نتيجة إيجابية دامت لسنوات عديدة مع المتفرجين الذين تحوّل الأطفال منهم إلى آباء، وهم إلى يومنا هذا يُقِرّون بتأثيره على مكوّناتهم الشخصية، ويحلمون بإعادة التجربة مع أبنائهم اليوم. وهو مطلب وصل إلى أصحاب القرار، وكانت النتيجة أنّنا قد نُشاهد نسخة جديدة هذه السنة (2014م) من "افتح يا سمسم" تُعالج قضايا اليوم، وتحاكي الواقع الجديد بروح النسختين القديمتين (1979م و1882م)، على أن يكون الهدف الأوّل من هذا المشروع هو خدمة اللغة العربية، وهذا ما تمّ الإعلان عنه عبر وسائل الإعلام[28].

ننتقل الآن إلى مجال حيوي آخر، وليكن عالم السياحة، حيث تستوقفنا بعض الأمور التي تبدو في ظاهرها بسيطة، وهي في الحقيقة مهمة جدّا، ولعلّ الأمر يتعلّق بلغة التواصل المستعملة في المجال السياحي الخاص بالكثير من الدول العربية، التي نجدها في الغالب متجسّدة في الإنجليزية، وأحيانا الفرنسية. وهنا نتساءل: هل بإمكاننا نحن مثلا أن نجد مؤسسة سياحية أو تجارية أمريكية أو فرنسية أو بريطانية تستعمل العربية كلغة للتواصل، أو حتى كلُغة ثانية أو ثالثة...؟! الجواب بالتأكيد هو: لا. لذلك يُفترض بالمؤسسات العربية المسؤولة عن هذا القطاع استعمال العربية باعتبارها اللغة الأولى، ومن ثمّ استعمال اللغات الأجنبية للتواصل مع الأجانب حين الحاجة فقط. فانطلاقا من شبابيك الاستقبال في المطارات العربية، مرورا بالطائرات التابعة للدول العربية، ووصولا إلى الفنادق العربية، نكاد غالبا نشعر بالغربة. ودون الإطالة والخوض في التفاصيل، يُمكننا فقط أن نطرح بعض الأسئلة من مثل: على أيّ أساس تُختار مضيفة الطيران؟! وما هي اللغات التي يجب أن تتكلّمها؟ وإن كانت الإنجليزية جدّ مهمّة، فما شأن لغة أهل الطائرة؟! وإلى متى سيبقى المسافر العربي في واد والمضيفات في وادٍ آخر؟!. وكذلك الأمر بالنسبة لموظفي الاستقبال في الفنادق العربية، وعمال المراكز التجارية وغيرها من المرافق المهمة. وما يُمكن أن نقوله عن السياحة العربية غالبا هو أنها تسعى إلى ترغيب الآخر فتتسبب بترهيب صاحب الدار.

وفي مكان ليس ببعيد عن السياحة؛ وبالأخصّ في عالم فنّ الطبخ. يُمكننا أيضا أن نجد ضالتّنا، وقد يتساءل البعض عن سبب إدراج هذه الفكرة في بحثنا هذا، ويقول: ما علاقة الطبخ باللغة؟ لذلك نُذكّر بأنّ لكل مطبخ معجمه اللغوي الخاص، فإن انتقلنا من المطبخ الفرنسي إلى الإيطالي إلى الهندي إلى

الأمريكي... نكون قد انتقلنا من معجم إلى آخر، حيث يشكّل هذا الأخير جانبا من جوانب ثقافة أصحابه، وهو مأخوذ من المعجم اللغوي العام لهم. وهذا ما نجده أيضا في المطبخ العربي المتنوّع الذي بدأ يغزو الغرب ويُغيّر وُجهة نظره في الأكل، حيث أصبح هذا الأخير يهرب من ثقافة الباستا والهودوغ والبيرغر إلى ثقافة الكسكسي والكبة والحمص والفلافل. وإن كان الطهاة الساعون نحو العالمية قد تنافسوا في يوم من الأيام على تعلّم اللغة الفرنسية لفهم أغوار الطبخ الفرنسي، فلِما لا يكون الطبخ العربي حافزا لتعلُّم العربية كأقصى حدّ، أو معجم الطبخ العربي كحد أدنى. فلطالما أُعجِبنا بالبيتزا الإيطالية ولم نُسمِّها بغير اسمها، لأنّه ليس بلفظ عادي، إنّه علامة تحمل تاريخا ومواصفات خاصة، ولا يُمكن في أيّ حال من الأحوال تسميتها بفطيرة الطماطم والجبنة، لأنّنا نكون بذلك قد ألغينا هويّتها. لذلك يروق لنا اليوم أن نسمع أكبر طهاة العالم يتحدّثون عن الطبخ العربي بالإنجليزية وهم يستعملون في الوقت ذاته معجم الطبخ العربي. أضف إلى ذلك أنّ هذا المعجم يتّسع لتبنّي ألفاظ المطابخ الإسلامية الأعجمية الأصل، بل أصبح يُعَرِّف بكل ما ينتمي إلى الطبخ الإسلامي العربي؛ فإن كان الكسكسي آمازيغي الأصل فهو اليوم عربي الهويّة، وقِس على ذلك. فلِما لا تكون المطاعم ومؤسسات الإنتاج الغذائي العربية المنتشرة عبر العالم همزة وصل بين الضاد والدينار؟!

هكذا نكون قد أنهينا جولتنا القصيرة بين بعض المحطات التي جمعت بين الضاد والدينار، لنأخذ منها بعض الأفكار التي تسمح لنا بفهم واقع الاستثمار في اللغة العربية، ومن ثمّ نعمل على تصويب الأخطاء فالابتكار. وإننا بذلك لمتأكّدون من جدوى هذه التدابير شريطة تدعيمها بحملة توعية عربية شاملة. والمهم من هذا وذاك هو الشرعية التي يمتلكها هذا المشروع باعتبار كل الأعراف الدولية. ولعل السبيل الوحيد إلى نجاح هذا المشروع هو تضافر الجهود بين المؤسسات على اختلافها والأفراد على تنوّع مشاربهم، فإنْ كُنْتَ أيّها العربي معلّما، أو أستاذا جامعيا، أو باحثا، أو طاهٍ، أو مهندسا، أو مخرجا، أو منتجا، أو مؤلّفًا، أو رسّاما... عليك أن تكون أوّلا فخورا بانتمائك إلى أمّة لا تعرف الحدود الجغرافية، بل حدودها لغوية، لذلك فاعمل على حماية حدودِك كالجندي الصنديد، لاسيما أنّ اللغة العربية هي السيف والعرْض في آن واحد، فاعمل بها واعمل لها.

المصادر والمراجع:

1. تأمّلات، مالك بن نبي، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، الجزائر، بإذن من دار الفكر، دمشق، سورية، ط 05، 1412هـ/ 1991م.

2. تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، عبد الرحمن اليجيوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، ديسمبر 2011.

3. جاهزية الدول العربية للاندماج في اقتصاد المعرفة - دراسة نظرية تحليلية - مراد علة، أستاذ مساعد، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة الجلفة- الجزائر: http://conference.qfis.edu.qa/app/media/344

4. دراسة الآثار الاقتصادية للتعدد اللغوي في التجارة والأعمال في دول الخليج العربي، حسن المظفر الرزو: http://www.alukah.net/culture/0/8628/

5. دور التعليم في توجيه الممارسات اللغوية، حبيب زحماني فاطمة الزهراء، مقال، مجلة القلم، مجلة محكمة يصدرها أساتذة من قسم اللغة العربية وآدابها جامعة ـ السانية ـ وهران، 2011م، العدد21.
6. دور التواصل الإلكتروني والبرامج التلفزيونية في تعلّم اللغات عند الطّفل العربي، مختارية بن قبلية، بحث مُلقى ضمن فعاليات الملتقى الدولي: الترجمة والمجالات ذات الصلة: مكانة اللغة العربية اليوم، جامعة الدول العربية، والمعهد العالي للترجمة، وقصر الثقافة مفدي زكريا (مقر الملتقى: الجزائر العاصمة)، في 18/ 19/ 20 ديسمبر 2013م، (مخطوط قيد الطبع).
7. سُبُل الاتصال ـ الكتب والمكتبات في عصر العولمة، د. ج. فوسكت، ترجمة حمد عبد الله عبد القادر، مراجعة حسني عبد الرحمن الشيمي، السلسلة 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1413هـ/ 1993م.
8. اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة: أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، من منشورات عالم المعرفة، نوفمبر 2000م.
9. مقدمة كتاب العبر، عبد الرحمن بن خلدون، من فصل أهل اللغات، دار القلم، بيروت لبنان، الطبعة السابعة، 1987م.

10. نسيج النص، بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ص12، نقلا عن: تشومسكي، 5، 1981م، (Lectures on Government and Binding, Dordrecht;foris).

11. نظريات في الرمز، تزفيتان تودوروف، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الوحدة العربية.

مكتبة السمعي البصري:

1. افتح يا سمسم، برنامج تلفزيوني، إنتاج: مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي، المنتج المنفذ: إبراهيم يوسف، كبير المنتجين: أسامة الروماني، كبير الكتاب: ياسر المالح، الكُتّاب: زهير الدجيلي، وسيد حجاب، وإحسان قنواني، وعلي حرب، المنسق العام: فاروق القيسي، إخراج: فاروق القيسي، وهيثم حقي، أسامة الروماني، تمّ التصوير الداخلي باستوديوهات: تلفزيون الكويت.
2. الجوارح، مسلسل تلفزيوني، فانتازيا سورية، تأليف هاني السعدي، إخراج نجدت إسماعيل أنزور، وإنتاج مركز دبي للأعمال الفنية.
3. الرسالة، فيلم سينمائي، إخراج: مصطفى العقاد، تأليف مجموعة من المؤلفين من بينهم: عبد الحميد جودة السحار، وتوفيق الحكيم، وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم. 1977م.
4. علوم الدار (النشرة المحلية الإماراتية)، قناة أبو ظبي (الأولى والإمارات) 22 يناير (جانفي) 2014م.
5. فجر الإسلام، فيلم سينمائي، إخراج: صلاح أبو سيف، تأليف: عبد الحميد جودة السحار، إنتاج: المؤسسة المصرية العامة للسينما، 1971م.
6. كيف وأخواتها، مسلسل تلفزيوني، إنتاج وتوزيع استوديوهات الأردن، الشركة الأردنية للإنتاج التلفزيوني والإذاعي والسينمائي، إخراج نبيل الشوملي.

7. المناهل، مسلسل تلفزيوني، إنتاج مشترك بين التلفزيون الأردني وورشة تلفزيون الأطفال CTW واستوديوهات الأردن (الشركة الأردنية للإنتاج التلفزيوني والإذاعي والسينمائي)، كبير الكتاب: هشام يانس، تأليف الأغاني: محمد ظاهر، المشرف الأكاديمي: د. محمد حسن إبراهيم، الإشراف اللغوي: د. فخري طمّلية ود. يحي حير.

الهوامش والإحالات:

[1] نظريات في الرمز، تزفيتان تودوروف، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الوحدة العربية، ص20.

[2] مقدمة كتاب العبر. عبد الرحمن بن خلدون. من فصل أهل اللغات .دار القلم. بيروت لبنان. ص397.

[3] جاهزية الدول العربية للاندماج في اقتصاد المعرفة - دراسة نظرية تحليلية - مـراد علة، أستاذ مساعد، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة الجلفة- الجزائر: http://conference.qfis.edu.qa/app/media/344

[4] دراسة الآثار الاقتصادية للتعدد اللغوي في التجارة والأعمال في دول الخليج العربي، حسن المظفر الرزو: http://www.alukah.net/culture/0/8628/

[5] اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة: أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، نوفمبر 2000م، من منشورات عالم المعرفة، ص30.

[6] جاهزية الدول العربية للاندماج في اقتصاد المعرفة - دراسة نظرية تحليلية - مـراد علة، أستاذ مساعد، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة الجلفة- الجزائر: http://conference.qfis.edu.qa/app/media/344

[6] يراجع، دراسة الآثار الاقتصادية للتعدد اللغوي في التجارة والأعمال في دول الخليج العربي، حسن المظفر الرزو: http://www.alukah.net/culture/0/8628/

[7] دراسة الآثار الاقتصادية للتعدد اللغوي في التجارة والأعمال في دول الخليج العربي، حسن المظفر الرزو، 2009: http://www.alukah.net/culture/0/8628/

[8] جاهزية الدول العربية للاندماج في اقتصاد المعرفة - دراسة نظرية تحليلية - مـراد علة، أستاذ مساعد، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة الجلفة- الجزائر: http://conference.qfis.edu.qa/app/media/344

[9] اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس غاندي (601 :1965)، 63.

[10] نفسه، 63.

[11] تأمّلات، مالك بن نبي، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، الجزائر، بإذن من دار الفكر، دمشق، سورية، ط 05، 1412هـ/ 1991م، ص 51.

[12] يُراجع، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، عبد الرحمن اليجيوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، ص2، عن: تكوين العقل العربي، محمد علي الجابري، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م، ص77.

[13] تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، عبد الرحمن اليجيوي، ص1.

[14] نفسه، ص 4.

[15] دور التعليم في توجيه الممارسات اللغوية، حبيب زحماني فاطمة الزهراء، مقال، مجلة القلم، مجلة محكمة يصدرها أساتذة من قسم اللغة العربية وآدابها جامعة ــ السانية ــ وهران، 2011م، العدد 21 .

[16] نسيج النص، الأزهر الزناد، بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، ص12. نقلا عن: (Lectures on Govern ment and Binding, Dordrecht;foris)، تشومسكي، 5، 1981م.

[17] سُبُل الاتصال - الكتب والمكتبات في عصر العولمة، د. ج. فوسكت، ترجمة حمد عبد الله عبد القادر، مراجعة حسني عبد الرحمن الشيمي، السلسلة 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1413هـ/ 1993م، ص 161.

[18] الفيلم من إخراج: مصطفى العقاد، وتأليف مجموعة من المؤلفين من بينهم: عبد الحميد جودة السحار، وتوفيق الحكيم، وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم. بطولة عبد الله غيث وهند واصف وحمدي غيث وغيرهم. للمزيد ينظر جينيريك الفيلم.

[19] الفيلم من إخراج: صلاح أبو سيف، وتأليف: عبد الحميد جودة السحار، إنتاج: المؤسسة المصرية العامة للسينما.

[20] الكاتب عبد الحميد جودة السحار.

[21] عانت أسرة الفيلم من مشاكل مختلفة جعلت الميزانية الضخمة تُستنفذ في إعادة تصوير الفيلم من جديد، ولاسيما بعد تغيير المخرج بعد قطع شوط من العمل.

[22] فانتازيا سورية، تأليف هاني السعدي، إخراج نجدت إسماعيل أنزور، وإنتاج مركز دبي للأعمال الفنية.
[23] استثنينا الحديث عن الإعلام المسموع لأنّه لم يَعد يؤثر إلّا على فئة بسيطة جدّا، وعلى رأسها فئة سائقي السيارات.
[24] إنتاج: مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي، المنتج المنفذ: إبراهيم يوسف، كبير المنتجين: أسامة الروماني، كبير الكتاب: ياسر المالح، الكُتّاب: زهير الدجيلي، وسيد حجاب، وإحسان قنواني، وعلي حرب، المنسق العام: فاروق القيسي، إخراج: فاروق القيسي، وهيثم حقي، أسامة الروماني، تمّ التصوير الداخلي باستوديوهات: تلفزيون الكويت.
[25] مسلسل تلفزيوني، إنتاج مشترك بين التلفزيون الأردني وورشة تلفزيون الأطفال CTW واستوديوهات الأردن (الشركة الأردنية للإنتاج التلفزيوني والإذاعي والسينمائي)، كبير الكتاب: هشام يانس، تأليف الأغاني: محمد ظاهر، المشرف الأكاديمي: د. محمد حسن إبراهيم، الإشراف اللغوي: د. فخري طمّلية ود. يحي حير.
[26] مسلسل تلفزيوني، إنتاج وتوزيع استوديوهات الأردن، الشركة الأردنية للإنتاج التلفزيوني والإذاعي والسينمائي، إخراج نبيل الشوملي.
[27] يُراجع، دور التواصل الإلكتروني والبرامج التلفزيونية في تعلّم اللغات عند الطّفل العربي، مختارية بن قبلية، بحث مُلقى ضمن فعاليات الملتقى الدولي: الترجمة والمجالات ذات الصلة: مكانة اللغة العربية اليوم، جامعة الدول العربية، والمعهد العالي للترجمة، وقصر الثقافة مفدي زكريا (مقر الملتقى: الجزائر العاصمة)، في 18/ 19/ 20 ديسمبر 2013م، (مخطوط قيد الطبع).
[28] يراجع، برنامج علوم الدار (النشرة المحلية الإماراتية)، قناة أبو ظبي (الأولى والإمارات)، 22 يناير (جانفي) 2014م.